

تاريخ القبول: 2025/04/26

تاريخ الإرسال: 2025/03/25

تاريخ النشر: 2025/04/30

الفحولة في شعر المتنبي بين سلطة الأنا ونسق التعالي**The virility in the poetry of Al-Mutanabbi between the power of the ego and the pattern of transcendence**صوالح محمد¹جامعة ابن خلدون - تيارت - (الجزائر) medsoulah87@gmail.com**الملخص :**

تهدف كثير من الدراسات التي اهتمت بشعر أبي الطيّب المتنبي إلى ربطه بسياقات تاريخية وثقافية؛ كما تربطه بجوانب نفسية واجتماعية، على أن قاسم التوافق والتلاقي بين معظم الدراسات هو الأنا المتضخمة وفحولة الذات، التي صنعت من المتنبي راية تعلو في كلّ مجالس الفخر ومواطن السّجال الشعري والأدبي، بل حتّى في وقائع الحروب والقتال، لتتحول أناه المطلقة إلى مضرب في النفرد ومثال للسودد، وعطفا على دراسات سابقة حاورت هذه الذات ورصدت تمثّلات النسق وفكرة التعالي في شعرها، تحاول هذه الدراسة تتبّع مكان الفحولة من خلال سلطة هذه الأنا أولاً وعلاقتها بالآخر، ثم نسق التعالي لهذه الذات في نماذج شعرية لأبي الطيّب المتنبي.

الكلمات مفتاحية : الفحولة، المتنبي، سلطة الأنا، التعالي، الفخر، الطموح.

Abstract:

Many studies have focused on the poetry of Abu Tayeb Al-Mutanabbi, whether in linking it to historical and cultural contexts or in its relationship with psychological and social aspects, but the common denominator and convergence between most studies is the inflated ego and the virility of the self that made Al-Mutanabbi a banner that rises in all councils of pride and places of poetic and literary debate, and even in the events of wars and fighting, so that his absolute ego turns into a proverb for uniqueness and an example of leadership, and in reference to previous studies that dialogued with this self and monitored the representations of the system and the idea of transcendence in its poetry, this study attempts to trace the sources of virility through the authority of this ego first and its relationship with the other, then the system of transcendence of this self in poetic models of Abu Tayeb Al-Mutanabbi.

Keywords: virility, Al-Mutanabbi, ego authority, transcendence pride, ambition.

¹- المؤلف المرسل : صوالح محمد، الإيميل: medsoulah87@gmail.com

1. مقدمة :

يتلّون الشّعْر بألوان التاريخ والمجتمع؛ حيث يأخذ الشاعر على عاتقه مسألة القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية؛ فيتأثّر بهذه القضايا ويتمثّلها في نفسه من منظور خاص منقّرد، يكفل له حرية القول وإمكانية التعبير ورحابة التصوير، لتخرج قصيدته في شكل حيوي يحوي في مضمونه محمولات فكرية ودلالية؛ ومرجعيات فلسفية وأيديولوجية وثقافية شتى، منها ما تقوله القصيدة وتعلنه العبارة، ومنها ما يبقى مستترا مُضمرا يحتاج من المتلقي قراءات متعدّدة وتأويلات ملحّة تحاور المسكوت

عنه في هذا المضمّر، فتسأل مرجعيّاته وتغوص في أعماق أنساقه المتوارية المغلفة بأقنعة الجمالي والبلاغي؛ الذي ظلّ يحجب وجه الشعر والأدب بصفة عامّة.

يحمل الشّعر في ثناياه الكثير من مواطن المتعة والقلق؛ ويعبّر عن تاريخ عميق حاولت الذات الإنسانية منذ وجودها الأوّل فيه البوح والانعتاق، وهو ما كان مع بدايات الشعر الجاهلي الذي كابد فيه الشاعر ظروف الحياة ومشاقّها، فساير مطبّاتها وصعابها؛ وسافر عبر جبالها وقفارها، فحلّ وارتحل وبكى على الطلل، وحكى لحظات اليأس والأمل، ليتأمّل تقلّبات الزّمن وتحوّله من حال إلى حال، فيجد الإنسان نفسه بين لحظة وأخرى شيخا يحكي فتوة شبابه ويحنّ إلى مجالسة أترابه الذين رحلوا عنه دونما رجعة.

يمثّل الشاعر عصره وما دار فيه من أحداث وقضايا غير أنّه لا يشبه المؤرّخ هنا، لأنّ عنصر الفنية هو الذي يزيد الأحداث توهجا ويضفي على الزمن تسارعا، ليكون المتلقي أمام كم من الاختصارات الدقيقة لتواريخ هامة في الحياة، فالشعر كما قال أرسطو أكثر فلسفة من التاريخ، وهو ما نجده في شعر المتنبي الذي يحكي عن عصر جمع المتناقضات في كافّة مناحي الحياة، فيكون الشاعر تائها قلّقا مثلونا في مواقفه وأشعاره، فمرة يمدح ومرة يذمّ، مرة يفخر ليتعالى ويتسامى، ومرة يطمح فيرقّ ويضعف، يكثر أصحابه كما يكثر أعداؤه، وقد كثرت التأويلات في شعره لكثرة الحاسدين والحاقدين، فكان ينام ليعترك الخلق في مدّ وجزر حول ما قاله المتنبي وما سكت عنه، وهو ما جعله فحلا في زمانه، مبدعا وحكيما قلّ أمثاله، رغم كثرة الشعراء والنظرّاء.

من هنا تسعى هذه الورقة إلى البحث في فحولة المتنبي واقتداره في عصره من خلال أناه المطلقة التي تحوّلت إلى سلطة في أيّامه تلك، أو فيما بعد المتنبي حينما

أصبحت أشعاره جملاً نسقية يتمثلها الشعراء والأدباء وحتى العامة من الناس في مواطن الفخر والتباهي في مجالس الأدب ونواديهِ، ثم دور هذه السلطة في خلق نسق التعالي الذي جعل من المتنبي ذات متضخمة تنشد نفسها وتذمّ غيرها في أكثر المجالس شأنًا وأمام الملوك والأمراء، ودليل ذلك هو أننا نجد في غرض المدح عند المتنبي كثيرًا من الذمّ المبطن ونوعاً من التهكم والسخرية والابتذال، حيث يفخر بنفسه ويُعلي من قدرها أولاً؛ ثم ينتقل لمدح الملك أو السيد، وكأنّ المرتبة هنا واحدة فيقدّم نفسه أولاً، وإلى جانب هذا فهو لا يمدح إلّا من أجل هدية أو مقابل ينتظره، فإن حُرّم من المقابل سقط هذا العقد بينه وبين الممدوح وتفككت لعبة المادح والمناح، ويتحوّل المدح إلى ذمّ وهجاء وتتكيل بالممدوح، ولهذا فمدحه في أساسه هو فخر بنفسه أولاً، وطموحٌ ثانياً في نيله مقابلًا ماديًا أو منصبًا وولايّة.

وعليه فقد حاولنا من خلال البحث الدخول للموضوع عبر نافذة تمثّلت في الإشكالية التالية : كيف تبدّت الفحولة في شعر المتنبي ؟ وما هي أهمّ تمثّلات الأنا السلطوية ونسق التعالي عنده ؟.

2 . نشأة المتنبي وشعره :

يُجمع الكثير من الدارسين للأدب العربي وتاريخه أنّ ولادة أبي الطيّب المتنبي كانت بالكوفة ببغداد العام 915 ميلادي، وهو أبو الطيّب أحمد بن الحسين بن مرّة بن عبد الجبار الجعفي الكندي الكوفي " اشتهر منذ حداثته بحدّة الذكاء وقد اختلط بأعراب السّماوة فأخذ عنهم ملكة اللغة ثمّ طلب المجد والسيادة بشعره، ولمّا أخفق طلبها بسيفه فقاد ثورة كانت نتيجتها السجن والإخفاق أيضا " ¹.

يتميّز اسم أبي الطيّ المتنبّي بحضور بارز وصخب قوي لآثّه قد فاق
بلاغة شعره وروعة أسلوبه، رغم أنّه كان من أهل الحضر في بغداد، حيث لم يوقّر
له نسبه القبلي سندا اجتماعيا أو سياسيا يذكر، لذلك كانت قوّته كلّها في كلامه
فيروى عنه أنّ من أوائل شعره ما قاله في مدرسة الصبيان :

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني وفرّق الهجر بين الجفن والوسن

روحُ تردّد في مثل الخلال إذا أطارت الرّيح الثّوب عنه لم يبين

كفى بجسمي نحولا أنّني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني²

فعلى صغره وحداثة تجربته في الحياة نجده يشكو خطوب الزمن ومرارة الفراق والبعد،
وهو ما ترك أثرا في نفسه وجسده على السّواء، حيث يصوّر واقعه مثقلا بالهموم
والرزايا.

وقد ذاع صيت المتنبّي وتعاظم شأنه نظرا لمجالسته الأمراء والملوك وجرائته
على قول الشعر في المواقف الكبيرة والمناظرات المحتدمة، حيث اتّصل في بداية
نبوغه ببدر بن عمّار في طبرية لكنه تركه بسبب كثرة الحساد والوشاة، وبعدها اتّصل
بعلي عبد الله بن حمدان المعروف بسيف الدولة أمير حلب " حيث لزمه تسع
سنوات، لتكون هذه أطيب حقبة في تاريخ المتنبّي، ثم تركه وقصد كافورا بمصر
طامعا في ولاية وعده بها الأمير الإخشيدي، ثم أخلف وعده فانحرف عنه المتنبّي
وهجاه، ثم راح يضرب في البلاد متقلّبا بين العراق وفارس متّصلا بابن العميد وعضد
الدولة إلى أن قُتل في أحد أسفاره إلى بغداد " ³.

وكان من بين ما ترك المتنبي ديوان شعر كان هو أول من جمعه؛ وشرحه الكثير من الأدباء كالكعبري واليازجي، ونظرا لأحوال العصر والظروف السياسية المتقلّبة فقد كان المتنبي كغيره من أبناء جلدته مهووسا بحال السياسة والحكم، كما كان قد ادّعى النبوة في أحد قبائل السماوة، فسجنه أمير حمص إلى أن قال شعرا يتوب فيه، ومن ذلك الوقت لصق باسمه لقب المتنبي، كما تتقلّ بين أمراء وملوك الشّام يمدحهم بما تُملّيه عليه نفسه ويطيّب به خاطره، فمرة يتكسّب ومرة يُعلي من قدر نفسه حينما يقدّمها على مدح الملوك والأمراء، فحتّى تكسّبه بالشعر كان فيه المتنبي متعاليا مترفعا زاهدا في عطايا وهدايا الملوك إلّا إذا طابت أنفسهم، ومثل هذا التعالي كثير في مدحه لسيف الدولة الحمداني حيث يقول في قصيدة مدحه فيها حينما أمر له بفرس دهماء وجارية فقال :

ولم تأت الجميل إليّ سهوا ولم أظفر به منك استراقا⁴

بعدما مدح المتنبي سيف الدولة وأجزل له العطايا، لم يرض أن يجعل نفسه بمنزلة المتسوّل وإنّما ذكره بأنّه لم يحسن إليه غفلة منه، بل عن علم واعتراف بمقدرة المتنبي؛ الذي لم يظفر بإحسان سيف الدولة من غير استحقاق كمن يسرق شيئا.

وقد قال في السياق ذاته مادحا لكافور الإخشيدي الذي أهدى إليها مهورا أدهما :

وإن بذل الإنسان لي جود عابس جزيت بجود التارك المتبسّم⁵

فهو يترفع عن أخذ الهدية إلّا إذا صاحبها بشرّ وبشاشة، أمّا إذا منحها صاحبها وهو عابس الوجه؛ جاد عليه المتنبي بترك تلك الهدية وهو متبسّم راض بتركها.

كما كان شعر المتنبي تعبيراً صادقاً عن نفس تفخر وتطمح وتمدح، تنتشد المعالي وتطلب المكارم، نفس ضاقت بها رحابة الأرض على امتدادها، وما زادها نفورا من واقعها هو تلونات العصر وتناقضاته وتناحراته، حيث وصف طه حسين وضع الناس في ذلك العصر بأنهم " يمكر بعضهم ببعض، ويعتدي بعضهم على بعض، وخاصّة الناس متدابرون لا يعرفون لما بينهم من التنافس والتدابير حدّا، ولا يعرفون لما يثيره التنافس والتدابير في نفوسهم من الآمال والأهواء ومن المطامع والمآرب غاية ينتهون إليها " ⁶. ولهذا فليس غريبا أن يكون شعر المتنبي شديد اللّصوق بشخصيته " فكان صورة لنفسه في جميع أحوالها : في مجازفتها وفي تقديسها للقوّة، وفي صبرها وأنفتها، في ثورتها وفي تشاؤمها، وفي إعراضها عن القيم الروحية، وقد انقسم شعره بالنظر إلى بروز شخصيته إلى أربعة أقسام : قسم هو شعر الفتوة يتضمّن الفخر والتهديد، لا يخلو من صبغة إنسانية استقاها الشاعر من انعكافه على نفسه وتحليل آلامها وآمالها؛ وقسم قيل عند سيف الدولة، وهو شعر القومية والجهاد، فيه فرحة غالبية وحسرة كامنة؛ وقسم قيل في مصر هو عصارة نفس فاشلة يحفل بالمعاني الإنسانية والشعور الإنساني، كما فيه سخرية أليمة؛ وقسم قيل في فارس والعراق، فيه لين والتفات إلى الطبيعة " ⁷ وفي كل قسم من الأقسام المذكورة أحداث ساهمت في أن يتّخذ المتنبي فعل المقاوم الذي يتحدّى سطوة الملوك والأمراء والشعراء والنظرّاء، بل وعامة من الناس الذين ترصدوا له وطاردوه، لا لنسب ولا لجاه أو سلطان، بل لأجل شعره الذي عاش ومات من أجله.

2. الفحولة في شعر المتنبي :

يُقدّم المتنبي نفسه في كلّ أشعاره، سواء كان مفاخرًا أو مادحا، متغزلا أو هاجيا، ليجعل من ذاته سلطة ومحورا فاعلا فلا يكون سياق القصيدة أرفع شأنًا من ذاته ولا

مكانة الممدوح أسبق من مكانة نفسه، فبقدر ما يفخر المتنبي بنفسه نجده يعمل على تعرية بعض الأنساق الثقافية، حيث يصدم نسق الجماعة الثقافي بنسقه الخاص الذي لا يؤمن بمسألة النسب التي أصبحت نقمة على المجتمعات الأبوية المتهالكة، ولأنّ المتنبي يرى المفاضلة والفخر في شعر غيره فهو " بطبيعته يحبّ ذاته ويتأمل نفسه كثيرا ويقارن بينه وبين غيره من الناس (...) ومهما كان صادقا مع نفسه يتغلب عليه الغرور فيؤمن بأنّه أفضل بكثير من غيره " ⁸.

إنّ أوّل ما تتبدّى فيه الأنا الطاغية عند المتنبي هو افتخاره واعتزازه بنفسه في مقابل انتمائه لنسبه وعشيرته وقبيلته في قوله :

لا بقومي شرفت بل شرفو بي وبنفسي فخرت لا بجوددي

وبهم فخر كل من نطق الضا د وعود الجاني وغوث الطريد

إن أكن معجبا فمعجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزيد

أنا ترب الندى وربّ القوافي وسامم العدى وغيظ الحسود

أنا في أمة تداركها الله له غريب كصالح في ثمود ⁹

فإذا رجعنا إلى أبيات المتنبي نجده يذكر فخره واعتزازه؛ في تغييب تام لقومه ونسبه حينما يصل به الأمر حدّ التغزل، واصفا محبوبته وشاكيًا من الحالة التي وصل إليها من صدودها وصدود الحياة من عوز وغربة واغتراب، حيث " ينتفض الشاعر من تحت الركام مستعصما بنفسه رافضا الظلم والذل، مجادلا نفسه بأنّه لا بديل عن القوة ولا شيء إلاّ القوة، حيث تقذف أناه الشاعرة بالأبيات وكأنّ الشاعر نفسه قد تقاجأ بها، واللافت في الأبيات هو حضور (الأنا) مقابل الد(نحن) القبلية

مشكّلا ظاهرة في شعر المتنبي تنبئ بتضخم (الأنا) وترفعها حتّى على القوم، فإذا خصّص الشاعر لقومه بيتا واحدا فقد خصّص لنفسه أربعة أبيات، وهذا التعالي في الأبيات سوف يكون مكونا أساسيا في شخصية الشاعر، وسوف يتجلّى عبر مظاهر متعددة تمسّ كل ما يحيط ويتعلّق به " ¹⁰، وقد يؤدي نشدان الذات والأنا المطلقة إلى حد يرى فيه الشاعر بأنه أكبر من قبيلته وعشيرته، فلا يجد حرجا في أن ينسب قومه لنفسه بدلا من أن يكون تابعا لهم واحدا منهم، ومثل هذا كثير في الشعر العربي القديم خصوصا مع شعر الصعاليك الذين رحلوا عن ديارهم بحثا عن ذواتهم " جزاء القهر القبلي، الذي تغيب فيه الذات مع الآخر وتتوحّد، حيث كان الشاعر العربي يرى العزّة في مدح قبيلته والفخر بها " ¹¹ ومثال ذلك في شعر الشنفرى الذي نراه يذوب في ذاتيته معتزّا بأناه مفتخرا بها في قوله :

أقيموا بني أمى مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل ¹²

فالثورة على نظام القبيلة والتعالي على سنها وقوانينها منحت الشاعر العربي فحولة متعالية ومركزية في مقابل الآخر سواء كان شاعرا نظيرا أو ملكا متجبرا، فسمّة التعالي ولدت نسقا ثقافيا يرى من خلاله الشاعر بأنّه القبيلة وأنّه هو المصدر لكل المكارم والسجاي، وهو ما يتحدّث عنه عبد الله الغدّامي بأنّه اختراع لقضية الفحل حينما ردّ الأنا الطاغية إلى أنّها اختراع شعري تسرّب إلى سائر الخطابات والسلوكيات " فشخصية الشحاذ والكذاب والمنافق والطماع، من جهة وشخصية الفرد المتوحّد فحل الفحول ذي الأنا المتضخّمة النافية للآخر، من جهة ثانية، هي من السمّات المترسّخة في الخطاب الشعري، ومنه تسرّبت إلى الخطابات الأخرى، ومن ثمّ صارت نموذجا سلوكيا ثقافيا يُعاد إنتاجه بما إنّه نسق منغرس في الوجدان الثقافي، ممّا ربّى صورة الطاغية الأوحّد (فحل الفحول)، ولا ريب أنّ

الاختراع الشعري الأخطر في لعبة المادح والممدوح قد جلب معه منظومة من القيم النسقية انغرست مع مرور الزمن لتشكّل صورة للعلاقة الاجتماعية فيما بين فئات المجتمع، من ثقافة المديح التي تقوم أول ما تقوم على الكذب " ¹³ ومنه ففحولة المتنبي قد نمت وتعاظمت في شكل عقد يربط بين المادح والممدوح، حيث تتحوّل له مكانته عند الملك النيل من خصومه وأعدائه، والتفوق على نظرائه في المجالس الأدبية، كما أنّ لعبة المدح هذه قد تجعله قريباً من الممدوح إلى حدّ يجعله يعلي من ذاته في حضرته فيصل به الأمر لحد يكون فيه المدح كذبا، بل هو مدحٌ مبطنٌ في غالبه بهجاء، ومن صور ذلك أنّه يزاوج بين المدح والفخر، لتكون سلطة الأنا المطلقة حاضرة في جميع أغراض شعره.

4. سلطة الأنا :

لم يخلُ شعر المتنبي من أنه المستفحلة، حيث تنفي الآخر وتثور على كل القيم المجتمعية التي تقف في وجه الذات وتسلبها حريتها وفاعليتها، ولهذا فقد تنوع حضور الأنا في أشعار المتنبي، سواء كان في مقام المدح أو الفخر أو الرثاء والهجاء، ففي غرض المدح تحضر نفسه لتكون على قدر تساوي فيه الممدوح هيبة ومكانة، كما تحضر في غرض الفخر لتكون ضدا لـ (النحن) القبلية وللنسب الذي ظلّ ميزانا حاسما في ثقافة العربي، فكثيرا ما لجأ الشاعر العربي لفضل نسبه وقبيلته واستظلّ بظلّ عشيرته وقومه، بينما المتنبي يرى في نفسه بأنّه مفخرة وذخرا لقومه وعشيرته، كما تحضر نفسه في غرض الهجاء الذي يستعلي فيه على من يهجوهم ومن ذلك ما قاله في كافور الإخشيدي، أمّا غرض الرثاء فنفسه تحضر لثعلن ضعفها في مواجهة الموت المحتّم رغم قوّتها وبأسها وتماسكها في مواجهة نكبات

الزمن ورزاياء، وقد حاولنا الوقوف عند كلّ غرض من الأغراض المذكورة لنستجلي بعض المواطن التي تحضرها أناه المطلقة.

1.4 الأنا والفخر:

رغم أنّ الفخر متنفّس يجدّ فيه الشّاعر مساحة للروح والاعتداد بالنفس والمآثر والمناقب أمام الخصوم والمنوئين، وهو نزعة إنسانية جُبلت عليها كل نفس بشرية، غير أنّ هذا اللون من الشعر تحضر فيه سلطة الأنا عند المتنبي بشكل كثيف جدا، بل إنّه يعدّ نفسه في لحظة من لحظات التباهي والغلو بأنّه الفخر كلّ حينما يقول :

وليفخر الفخر إذ غدوت به مرتديا خيره ومنتعله

أنا الذي بيّن الإله به الأقدار والمرء حيثما جعله

جوهره يفرح الكرام بها وغصّة لا يسيغها السّفله¹⁴

في هذه الأبيات يمثّل المتنبي نفسه بأنّه مفخرة يفخر حتّى الفخر بها، ومن فتح الله تعالى عليه أن بيّن به أقدار الناس، لأنّه صار مقتدرا على وصف كلّ واحد بما فيه، ومن مزاياء فضله أنّه يجعل نفسه بمنزلة يقدره ويبجلّه الناس فيها.

2.4 الأنا والمدح :

كثيرا ما اعتبر مدح المتنبي ذاتية مفردة وفحولة طاغية، فهو يجمع بين شمائل الممدوح ونفسه، بل إنّه يخصّ نفسه بهذه الشمائل والسجايا قبل أن تنتقل إلى

ممدوحه، وكثير ما كانت أشعاره في هذا اللون مبطنّة بالذم تجاه من يمدحهم خصوصاً أصحاب الملوك والجاه لأنّه يزاحمهم فيما لا يملك، وقد عدّ الغدّامي هذه المراوغة بأنّها " الصفحة الأكثر نسقية من بين كلّ الصفحات، وكم هو غريب أن تظهر هذه الصفحة وكأنّما هي الأنقى والأصدق، ممّا يُشعرنا بقدرة النسق على التخفي والتستّر تحت أغطية كثيفة، من بينها الغطاء المجازي " ¹⁵ فأغلب القصائد التي ذكر فيها سيف الدولة هي في الغالب ذمّ يُضمره المتنبّي، بل هي مطيّة لأنّ يعتدّ بذاته ويتباهى بأنّه المتضخّمة " وقد وجد في ذلك إرواءً وشبعا لثورته القديمة المكبوتة، وإرضاءً وتجسيدا لنزعتة القومية التي صحبت تلك الثورة وعاشت فيها ونمت نموّها " ¹⁶ ومن أمثلة الاشتراك لأننا المطلقة مع الممدوح ما يقوله المتنبّي في سيف الدولة حينما أمر له بفرس دهماً وجارية :

فتى لا تسلب القتلى يداه ويسلبُ عفوه الأسرى الوثاقا

ولم تأت الجميل إليّ سهوا ولم أظفر به منك استراقا

فأبلغ حاسديّ عليك أنّي كبا برقّ يحاول بي لحاقا

وهل تُغني الرسائل في عدو إذا ما لم يكن ظُبي رفاقا

إذا ما الناس جرّبهم لبيب فإنّي قد أكلتهم وذاقا

فلم أر ودّهم إلّا خداعا ولم أر دينهم إلّا نفاقا ¹⁷

فرغم أنّ مقام الأبيات هو مدح وثناء على سيف الدولة نظير منحه وهداياه، إلّا أنّ الأنا المفرطة للمتنبّي تدخل كفاصلة يحاول من خلالها إثبات وجوده بمساواة ممدوحه وترفعه عن عطاياه، حيث إنّ هذه الهدايا لم يتفضّل بها سيف الدولة سهواً منه ولم

يظفر بها المتنبّي سرقةً، وإنّما هي جزاء استحقاق واقتدار، ثم ينتقل المتنبّي ليحكّي خبرته بالحياة ومعرفته بأحوال الناس في ودّهم ووفائهم وتديّنهم.

3.4 الأنا والرثاء :

أقرب ما يكون الشاعر إلى نفسه حينما يكون راثياً، حيث يحاول محاورة النفس والوقوف عند صور الحزن وشدة الابتلاء، لكن في حالة المتنبّي فهو يصنع دائماً من ذاته قدوة عند كلّ بلاء، ومن أمثلة هذا ما نستجليه من مرثية له في جدّته من أمّه عندما يقول :

وما انسدت الدنيا عليّ لضيقها ولكنّ طرفاً لا أراك به أعمى

فوا أسفاً أن لا أكبّ مقبلاً لرأسك والصدر الذي ملأنا حزماً¹⁸

إلى أن يقول :

وإنّي لمن قوم كأنّ نفوسنا بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظما

كذاك أنا يا دنيا إذا شئت فاذهبي ويا نفس زيدي في كرائها قُدا

فلا عبرت بي ساعة لا تُعزّني ولا صحبتني مهجّة تقبل الظلما¹⁹

فبين الشطرين ينتقل المتنبّي من حال إلى حال، لتحاول نفسه العودة إلى مركزيتها وجبروتها المعلن ونسقيتها المتعالية، بل إنّه يدعو نفسه لأن تزاحم هذه الدنيا بأن تزيد قُدا فيما تكرمه الدنيا عزّة وتعاضماً، فلا يبالي المتنبّي بدنياه بقدر حرصه على أن يعيش عزيزاً في كل ساعة فيها، تصحبه نفس لا تقبل الذلّ والهوان.

4.4 الأنا والهجاء :

تحضر أنا المنتبى في غرض الهجاء كثيرا، وأكثر ما تكون وطأة ووضوحا حينما تكون في مقابل الغدر والخيانة وسوء المنقلب، وهو مُرّ تجرّعه من سيف الدولة وكافور الإخشيدى على السواء، فحينما يُفض عقد المادح والممدوح فإنّ كلّ مدح ينقلب ذما وهجاء، وهنا تحضر ذاته متعجّبة حائرة من صروف الزمن وغدر الأصحاب والخلان فيقول في هجاء كافور الإخشيدى :

أما في هذه الدنيا كريم تزول به عن القلب الهموم

أما في هذه الدنيا مكانٌ يسرُّ بأهله الجار المقيم

إلى أن يقول :

ولمّا أن هجوت رأيت عيّا مقالى لابن آوى يا لئيم

فهل من عاذر في ذا وفي ذا فمدفوعٌ إلى السقم السقيم

إذا أتت الإساءة من لئيم ولم ألم المسيء فمن ألوم²⁰

كأنّ المنتبى يبحث عن شيء في نفسه لم يجده في غيره أبدا، يبحث عن خلّ صفي يدواي به هموم قلبه ويشكو إليه أسراره، وهو في مقام يتأسّف فيه من كثرة الإعراض والغدر، فقد مدح سيف الدولة واشتهر بمدحه؛ ومع ذلك لم تدم بينهم صلة المحبة، فلمّا انتقل إلى كافور الإخشيدى وجد الأمر نفسه من إعراض و نكران، ولهذا فهو يرجع إلى نفسه وإلى عقله؛ محاولا استنارة أناه واسترجاع فحولته فيرى الهجاء في الممدوح عيٍّ، وحتّى من قال لابن آوى - وهو من ألام السباع وأخسّها - يا لئيم كان متكلفا وكلامه كلّ عيٍّ ولغو، ولذلك فهو يطلب من يعذره ويتفهم موقفه

واندفاعه في مدحه وهجائه على السوء، فقد كان مظطرا في المدح والهجاء ولم يكن متخيّرا كحال المريض الذي يحلّ به الداء فجأة فلا يجدّ عنه ملاذا أو خلاصا إلاّ حينما يكابده ويشقّ عليه؛ ليستلذّ بعد الداء حلاوة الشفاء، وهو ما صوّره المتنبي من خلال أبياته.

5. خاتمة :

- ذاع صيت المتنبي وتعاظم شأنه نظرا لمجالسته الأمراء والملوك؛ وجراته على قول الشعر في المواقف الكبيرة والمناظرات المحتدمة.

- صوّر المتنبي من خلال شعره عصرا سادته الخلافات والتناقضات، سواء بين الحكام والأمراء أو بين العامة من الناس، من تنافس وتناحر وسعي لنيل المطالب والمآرب.

- تحوّلت فحولة المتنبي وأشعاره لجُمل نسقية يتمثلها الشعراء والأدباء وحتى العامة من الناس في مواطن الفخر والتباهي في مجالس الأدب ونواديّه.

- كانت علاقة المتنبي بسيف الدولة في أكثر أيامها توهّجا وصفاء مبنية على نسقية عجيبة مبطنّة بكثير من مطبّات التكبّس والتهكّم والسخرية، حيث حاول المتنبي نيل المطالب المادية؛ كما تقاسم مع ممدوحه السجاي والمكارم المعنوية، فلم تسمح له نفسه المتعالية بأن يكون شاعرا متكسّبا، بل ندّا وخصما لكل من يمدحه.

- نظرا لأناه المفرطة فقد كان مدح المتنبي في كثير من المواطن ذمّا مضمرا ونسقيّة دفيئة تجاه ممدوحيه.

– قد يحوي شعر المتنبي أنساقاً ثقافية تروج لفكرة الطاغية والتأسيس للأنا المتعالية، لكن لا يمكن تعميم هذه الأنساق على كافة أشعار المتنبي، ولا يمكن النظر إليها على أنها جنت على الشعر العربي أو الشخصية العربية.

– نرجسية المتنبي وتعاليه في الشعر خلفاً له أعداء على اختلاف مراتبهم؛ فمنهم الأمراء ومنهم الشعراء والنظرء.

6. مراجع البحث وإحالاته :

¹– حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، دار الكوثر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2012، ص : 569.

²– عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد 02، الجزء 3-4، ط 01، 2001، ص : 234-235.

³– حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص : 569.

⁴– عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي ، ص : 34.

⁵– المرجع نفسه ، ص : 196.

⁶– طه حسين، مع المتنبي، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، مصر، دط، 2012، ص : 38.

⁷– حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص : 569-570.

⁸– محمد سراج الدين، الفخر فيالشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص : 05.

⁹– عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي، مصر، دط، 2014، ص : 386.

¹⁰– حسين الجدانة، جدلية الأنا والآخر في شعر أبي الطيب المتنبي، مغامرة في القراءة والتأويل، إريد الأردن، ط إلكترونية 01، 2022، ص : 19.

¹¹– لخداري أمحمد، شعرية الأنا عند المتنبي بين الرؤية النفسية والتشكيل الأسلوبية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 01، 2015، ص : 113.

- ¹² - عمرو بن مالك الشنفرى، الديوان، دار صادر، بيروت - لبنان، ط2، 2007، ص : 55.
- ¹³ - عبد الله الغدّامي، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2005، ص : 93-94.
- ¹⁴ - عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي ، ص: 280.
- ¹⁵ - عبد الله الغدّامي، النقد الثقافي، ص : 170.
- ¹⁶ - حسين مروة، تراثنا كيف نعرفه، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت - لبنان، ط2، 1986، ص : 65.
- ¹⁷ - عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي ، ص : 34-35.
- ¹⁸ - عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي ، ص : 171.
- ¹⁹ - المرجع نفسه، ص : 173-174.
- ²⁰ - المرجع نفسه، ص : 208-209.